

مكانة القراءة في مشروع ريكور

The status of reading in Ricoeur's philosophical project

محمادي ايمان¹، فاطمة الزهراء امغار²¹ جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2 (الجزائر)، imene.mohamedi25@gmail.com² جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2 (الجزائر)، fatmazohra@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/03 تاريخ القبول: 2025/11/24 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

يحاول هذا المقال التطرق إلى مسألة القراءة ومكانتها في سياق التأويل لدى بول ريكور Paul Ricoeur (1913_2005) أحد أهم فلاسفة الفكر الغربي المعاصر، والممثل الحالي للهيرومينوطيقية الفلسفية، ألف العديد من الكتب الفلسفية النقدية في التأويل، التاريخ التحليل في فلسفة اللغة، نظريات الفعل، البنيوية، اللاهوت، السيميائية، علم النفس، إضافة إلى ما عرف أساسا به كتاباته عن الرمزية الدينية (رمزية الشر) وعن التحليل النفسي (فرويد والفلسفة).

وذلك من خلال البحث في فلسفته والتي وإن بدت أنها لا تمت بصلة إلى ما قبلها فإنها منفتحة على مختلف الجبهات الفكرية، ويظهر ذلك جليا في حواراته مع البنيوية، والسيميائية، وفلسفة اللغة، وهنا يقيم ريكور التواصل مع غيره من الفلاسفة من أجل إقامة مشروع الفلسفي التأويلي والذي وإن انطلق من الكتابة لإنتاج نص فإنه لا غنى فيه عن القراءة التي تعد نشاطا فعالا من خلاله يتم تفتيق الطاقة الدلالية للنص، فإذا كان التأويل هو الفن الذي يساعدنا على فك رموز النصوص، فهذا لا يتم إلا انطلاقا من القراءة التي نتوجه بها إليه والتي تختلف وتتعدد نحو النص الواحد وهذا ما يجعل فاعلية القراءة أحد أهم القضايا التي يمكن الموقوف عندها.

كلمات مفتاحية: الكتابة- النص- القراءة- الخطاب- نظريات القراءة- التأويل.

Abstract:

This article attempts to address the issue of reading and its place in the context of interpretation in the thought of Paul Ricoeur (1913–2005), one of the most important philosophers of contemporary Western thought and the current representative of philosophical hermeneutics. He authored many critical philosophical books on interpretation, historical analysis in the philosophy of language, theories of action, structuralism, theology, semiotics, psychology, in addition to his well-known writings on religious symbolism (symbolism of evil) and psychoanalysis (Freud and philosophy).

This is explored through an investigation of his philosophy, which, although it may seem disconnected from prior philosophies, is open to various intellectual fronts. This becomes evident in his dialogue with structuralism, semiotics, and the philosophy of language. In this way, Ricoeur establishes communication with other philosophers to build his interpretive philosophical project, which, although it starts with writing to produce a text, is inseparable from reading. Reading is an active process through which the semantic energy of the text is unlocked. If interpretation is the art that helps us decode texts, this can only occur through

reading, which varies and diverges toward a single text. This makes the effectiveness of reading one of the most significant issues worth considering.

Keywords: Text - Reading – Discourse - Reading Theories - Interpretation

*.المؤلف المرسل: محمادي ايمان،

1. مقدمة

إن الحديث عن القراءة، ونظريات القراءة والتأويل، يدفعنا إلى التوغل في الفكر النقدي الغربي المعاصر، تحديداً في ألمانيا، وفرنسا، أين نجد عدداً هاماً من الفلاسفة والنقاد وعلماء اللغة المهتمين بحقل القراءة والتأويل، من خلال مراحل هامة في تاريخ النقد الأدبي الغربي انطلاقاً من مرحلة الذوق عند الانطباعيين مثل: أندري جيد، جول لوميتير، ثم مرحلة التأريخ الأدبي مع جوستاف لا نصون وغيره، بعدها المرحلة النفسية مع فرويد، شارل مورون، وجاك لاكان، ومارت روبي، ثم مرحلة المرجع الواقعي مع الواقعية الاشتراكية مع جورج ولكاش، بيلخانوف، ثم البنيوية التكوينية مع لوسيان كولدمان، جاك لينهاردت، وروني جيرار بعدها أيضاً مرحلة النص مع البنيوية اللسانية والسردية والسيمائيات مع فلايدمر بروب، وتودورف، ورولان بارت، وكلود بريمون، وأمبرتو إيكو، وغريماس وجوزيف كورتيس....، والتي تلتها مرحلة الأسلوب مع مجموعة من الأسلوبيين مثل: ميخائيل باختين، ينوغرادف، غريفتسوف، وإيف تادييه، بيير غيرو ثم مرحلة الموضوعية مع غاستون باشلار، اجان ستاروبنسكي، بيير ريشارد، حتى نأتي إلى أهم مرحلة وهي ما بعد الحداثة أين تعددت المواضيع المراد دراستها ليخرج بذلك التحليل الفلسفي إلى أكثر من قضية ومفهوم: كالتاريخ، والتحليل، والاستشراق، والاغتراب، التفكيك، التأويل، الجمالية، القراءة التي توجت بعدة نظريات مع فلاسفة فاعلين فيها مع آيزر، هانز روبيريوس، فولفغانغ، أمبرتو إيكو، رولان بارت، وميشيل شارل، تزييفان تودورف، ورايمون ماهيو، فرناند هالين، وستانلي فيشن ميشال أوت، روبرت، اسكارين.

ومن هذه لأسماء الهامة في حقل هذه الدراسة النظريات، نريد بهذا المقال أن نربط فيلسوف التأويل بول ريكو، بمقدمه من خلال كل هذا الكم الهائل من الإنجازات والتي صدقا

نجد أن ريكور نجح نجاحاً منقطع النظير كونه صنع توليفة فلسفية من خلال حصيلة فلسفية في التأويل ونظريات القراءة وحتى القراءة في حد ذاته كمصطلح فلسفي هام في مشروعه الفلسفي التأويلي. ولأجل ذلك فإن مجموعة من الأسئلة التي تفرض ذاتها نعمل على محاولة تحليلها للوصول إلى إجابات مما قدمه ريكور في تأويلته على العموم والقراءة بالأخص فأولا يتبادر إلى الذهن: من هو ريكور؟ وماهي أهم المرجعيات الفكرية التي حرر بها ريكور العقل الفلسفي والنقدي لديه؟ ماهو تصوّره لفعل القراءة داخل التأويل؟ وماهي أهم نظريات القراءة؟ وما المقصود بجدلوية الكتابة القراءة؟ وماهي الإمكانيات الهامة التي تناولها ريكور في القراءة فكان لها بذلك دوراً في مشروعه الفلسفي التأويلي؟

كل هذه التساؤلات يحاول هذا المقال الوصول إلى إجابة عنها، وتكمن أهميته في أنه يحاول الوصول إلى تحليلات حول نشاط القراءة كإسهام هام للفكر الفلسفي عموماً والتأويلي خصوصاً، خاصة وأن ريكور فاعل حاضر في المشهد الفكر الفلسفي في العالم المعاصر بشقيه الغربي والعربي حالياً، وقد سجل حضوره التأثير الهام الذي خلفته مسيرته

الفكرية ولعلنا بهذا الصدد يجب أن نبرز الدور الهام الذي يجب أن نوليه للقراءة في عالمنا اليوم لما لها من أهمية أقصى. ولأجل محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات استندنا إلى خطة بحث تقوم على هذه العناصر.

1- مفهوم القراءة عند ريكور.

2- جدلية الكتابة القراءة.

3- نظريات القراءة.

4- مكانة القراءة في فكر ريكور.

1- مفهوم القراءة:

وضع ريكور القراءة في سياق مغاير خرجت فيه من حيث كانت مجرد استيعاب لجملية أفكار أو معلومات مستقاة من النص لتكون عملية تأويلية تفاعلية تجمع ما بين أهم أولاً أي فهم النص واستيعابه من خلال سياقه الخاص، وفهم القارئ لذاته وعلاقته بالنص فالقراءة عند ريكور هي البحث عن المعنى في النص، وأن نستخرج المعان التي تكون وراءه، ما يبحث عنه ريكور، هو العمق أي المعنى الخفي من خلال الرموز والعلامات، أي أن تكون القراءة عملية فهم للنص من خلال: فك رموزه وبسياقه الخاص، وفهم العلامات بين أجزاء، وفهما للذات: من خلال اندماج القارئ مع النص فتفهم الذات بصورة أعمق، وأيضا القراءة عملية للبحث عن المعنى الموجود داخل النص، وأيضا حوار بين النص والقارئ، والنتيجة يعني أي يعطي القارئ تفسيراً للنص بناء على فهمه هو وقراءته هو. فمن منطلق أن فعل القراءة يشكل نظيراً لفعل الكتابة، الذي يشكل جوهر بنية الخطاب. يحدث جدل في القراءة بين الفهم والاستيعاب والتفسير، ودون محاولة فرض مطابقة آلية بين البنية الداخلية للنص بوصفه خطاب الكاتب، وعملية التأويل بوضعها (ريكور والغاني، 2003، ص.ص. 117-118) خطاب القارئ، لذلك تتطابق البنية الجدلية لقراءة مع البنية الجدلية للخطاب يبدو أنه علينا أولاً أن نلتفت إلى مصطلح القراءة من خلال تعريفه:

أ/- من الناحية اللغوية:

- في معاجم اللغة العربية: مادة (قرأ): في مقاييس اللغة وما أجمعت عليه المعاجم العربية على أن الإشتقاق اللغوي لفظ "قرأ" يأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التلاوة والترتيل والقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ، قراءة، وقرآنا،

ومنه قوله تعالى الوارد في سورة القيامة: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" (1) أي قراءته، فلفظ قرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، أو وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن أو من قرنت الشيء بالشيء (ابن منظور، ص. 128).

فقرى أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومن ذلك القرية، سميت قرية لإجتماع الناس فيها، يقولون: ما قرأت هذه الناقة تسلي كأنه يراد أنها ما حملت قط، قالوا أيضا أن القرآن يجمع الأحكام، والقصص

¹ - سورة القيامة، القرآن الكريم، الآية: 17-18.

والمعاني، ولهذا جاء اسمه كذلك، فهو جمع السور والآيات بعضها ببعض (ابن فارس و هارون، 1991، ص. 79)، أمّا في النصوص قديمة نجد أن لفظ " القراءة " كان يرد بمعاني العلم، والمعرفة، والإيمان، والهدى والخير، إلّا أن مفهوم القراءة لم يرد في المعاجم العربية بهذا المعنى الجمالي النقدي الذي يتداوله الحداثيون اليوم.

ب/- من الناحية الإصطلاحية:

اسم مصطلح " القراءة " في ظل النقد الأدبي المعاصر بمختلف اتجاهاته، بالبعد الاصطلاحي بمختلف اتجاهاته، فمصطلح القراءة في الإصطلاح النقدي صعب تمييزه ن التداول العادي، فإن كانت القراءة تعني الفهم، فإنّ: " فعالية الفهم، مشترك بين مستعملي القراءة. فإنّ أقرأ كتابا فهذا يعني في الفهم العادي، أن ألمّ بشتان المعرفة التي تحتوي عليها، بعد أن فك رموز الخط الذي كتبت به، لأنّ الفهم لن يأتي إلّا بعد قراءة الخط أولاً" (زيفتان، 1989، ص. 106).

وإنّ لجدير بالذكر أنّ مفهوم القراءة له عدّة أوجه، إذ أنّ النقد التقليديين رأوا فيه استهلاك النص، في حين اعتبره النقد الحداثيون إنتاج النص، وتناس، ومن كلا الوجهتين يظهر أنّ القراءة إنتاج وجمال وتحصيل، غير أنّ القارئ القادر على إنتاج قراءة ليس أي قارئ، وإنما هو محصور في فئة النقد أي أنّ مفهوم القراءة ووظيفتها لا يتحددان إلّا حيناً تتحدد هوية القارئ ذلك أن أيديولوجية وتوجه وفلسفة القارئ، حيث أنّ القارئ هو الذي يمنح للنص كينونته ووجوده ويخرجه إلى الوجود الطبيعي ويعطيه ملامحه وحقه في الحياة وعملية القراءة هي التي يتحقق بها وجود العمل الأدبي... وفي القراءة تتحقق موضوعية القارئ" (سارتر، 1990، ص. 40) وفي النص كذلك يجد القارئ بعضاً منه، حيث يكتسب أموراً ويصرف عن ذاته أموراً أخرى.

أيضاً فالقراءة نشاط ذهني وفعل تأويلي منتج وهادف في نفس الوقت، فهو ينتج التأويل، ويهدف إلى الإنفتاح على العالم، " لم تعد القراءة هي ما ينصح به النص ويوجّه إليه بل هي ما يحمل بنية النص إلى النص من خلال التأويل " (ريكور، 2006، ص. 248). والقراءة فعالية يعطي للنص وجود ودلالته، فدور القارئ هام إذ أنّه عليه التغلغل في أعماقه النص باحثاً عن المعنى من أجل التأويل، ذلك أنّ مشروع القراءة إنّما ينزع نحو مشروع التأويل،

ويعتبر ريكور فعل القراءة عملية معقدة ومركبة، فهي مشاركة وجودية بين المتلقي والنص بل وأكثر من ذلك قد يشارك القارئ في التجارب التي تبحث عن مجهول أو غامض من خلال الرمز الذي يبحث عن المعنى، ولهذا يتأسس التأويل كضرورة.

" فالقارئ عليه أن يُعيد تشكيل النص من خلال أفق معرفي وجمالي يمثل الإطار الذي تنجز فيه القراءة، والتأويل وهنا فإن ريكور لا يعتبر فعل القراءة بالمتعة الجمالية الخالصة المتوقفة على الشكل، بل إنّها عملية قائمة على الجدل بين المتلقى أي القارئ والنص من أجل الوصول إل المعنى إذا فهي نشاط وجودي قائم على المشاركة ملخاً في ذلك على أهمية دور القارئ في عملية التأويل.

وهنا يميز ريكور بين مستويات في القراءة، القراءة السطحية وهي التي تكتفي بالمعنى الظاهري للنص دون التعمق في فهمه، التأويلية، وهي القراءة التي يكون مسعها هو فهم النص من خلال التفاعل بين القارئ والنص، مع الأخذ بالاعتبار السياق الثقافي والتاريخي للنص، إضافة إلى القراءة النقدية، أين يتم تقييم النص من خلال الوصول إلى جملة القيم والمفاهيم الأساسية التي يريد الوصول إليها هو والتي يعكسها " (قطوس، 2006، ص. 138).

أما عن القراءة الإبداعية فهي تلك التي تسعى إلى الوصول إلى كل تلك المعاني المتعددة وحتى المتباينة له من خلال القارئ أو مجموعة القراء والذين يبدعون إلى تلقي المعنى من خلال فعل القراءة، ومن خلال ذلك يشير ريكور إلى أنّ عملية القراءة ليست مجرد استقبال سلبي للنص أو تلقي سطحي وإنما هي ذلك النشاط الذي يسعى إلى الإبداع المعنى، فيكون القارئ أو المتلقي محور العملية أو نشاط القراءة من أجل التأويل الذي هو عملية فهم النص من خلال التفاعل بين القارئ والنص.

2/- جدلية الكتابة والقراءة :

تمثل الكتابة أداة تواصل وأحد الوسائل الهامة للتخاطب، حتى أنها تستخدم – تلك الأجزاء والعناصر التي تعتمد على اللغة من ألفاظ وكلمات ورموز وإشارات وعلامات في التعبير، فالكتابة هي تلك الوسيلة التي تستخدمها اللغة من أجل تصبح قابلة للقراءة. فالكتابة هي: "العقل الفاعل، و(المبدأ الذكر) للغة، وهي وحدها التي تملك الحقيقة" (فوكو، 1990، ص. 55)، وما تؤول إليه الكتابة بعد استخدامها نظاماً معيناً والجدير بالذكر أنه لا ينحصر في الحروف التي تشكل الكلمات والتي بدورها تشكل الجمل، وإنك كان أهم أشكال الكتابة فإنه لا يمثل كلها، فإنها تؤول (ريكور، من النص إلى الفعل، 2001) إلى نصوص، كل نص يحتاج في فهمه وتأويله إلى قارئ بعد أن قام بكتابه مؤلف أو كاتب.

إن نشاط الكتابة بعد أن أنتج نصاً ماهو في حدّ ذاته شكل من أشكال الخطاب، بل وجوهريته، فإنه يحتاج إلى فعل القراءة حتى يكون النص حياً، إذ أن النصوص التي كتبت ولم تقرأ تموت، ومنه ففعل القراءة يشكل نظيراً لفعل الكتابة، الذي هو نشاط نقدي يتكلف بمهمة صعبة ومعقدة وهي القبض على الكلام وتشكيله في قالب لغوي.

يمكن للقارئ من خلاله الولوج إلى النص فهو بوابة له. ف "الكتابة علاوة على ذلك، بصفته مؤسسة، تآلية للكلام الذي يبدو أنها منذورة لتثبيت كل تلفّظاته التي لا حدّ شفويّاً، بشكل خطّي موجز، ويبدو أن الاهتمام الحصري تقريباً، المعطى للكتابات الصوتية تأكيد على أنّ الكتابة لا تضيف شيئاً لظاهرة الكلام، إنّ لم يكن التثبيت الذي يسمح بصيانتها" (ريكور، 2001، ص. 105-106).

ليس بعيداً عن مصطلح الكتابة بل ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً نجد النص فكما أشرنا سابقاً، فالكتابة فعل ينتج عنه النص وهذا ما نجده عند بول ريكور، فقد اعتبر أنّ النص: وحدة أساسية من وحدات الخطاب، إذ أنّه يقسّم الخطاب إلى وحدات: الكلمة، الجملة، ثم النص، وفي هذا يتساءل ريكور عن ماهية النص: ماهو النص؟ وريكور ذاته يجب بـ " كلمة نص تطلق على كل خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة" (ريكور، 1988، ص. 37)،

ما يمكن فهمه أنّ ريكور يقصي كل خطاب غير مكتوب عن النص، فالكلام لا يعبر عن نص إلا إذا كتب، فالكتابة تحفظا الكلام المنطوق من خلال التدوين وقد ربطها ريكور "التأويل" بالنص لأنّ هناك علاقة بين القراءة والنص، "فالنص يجعل المؤلف يصل إلى القارئ، كما يجعل القارئ يصل إلى المؤلف" (Ricoeur, 2004, p.17).

وقد تختلف القراءة المتعددة للنص الواحد فيما بينها، وهنا يصبح التأويل كيفية التوجه إلى النص عبر أشكال وأمط تختلف عن توجه المؤلف أو الكاتب إلى نصه في حدّ ذاته، فالنص الواحد إذا له عدة قراءات ومن ثمة عدّة تأويلات، وريكور هنا يذهب إلى التحوّل في تلك العلاقات فبعد أن كانت العلاقة بين اللفظ والخطاب، وهنا تعزى الأولوية إلى الخطاب ثمّ يليه الكلام ليكتب بعدها ويأتي النص، أصبحت حاليًا عبارة عن قصد للكتابة، ثمّ كتابة ثمّ نص، حيث تظهر وظيفة القراءة في النص بعدما أن اقتصر على خطاب يحمل علاقة بين مُخاطِبٍ ومُخَاطَبٍ، وهذا التحليل من خلاله يفسّر ريكور ظهور الكتابة أي وجود تغير في العلاقة بين العبارة والخطاب.

يضيف ريكور قائلاً، " أن العلاقة بين كتب وقرأ ليست حالة خاصة منبثقة عن العلاقة بين تكلم وأجاب. فهي ليست علاقة تخاطب (محادثة) ولا تتوفر فيها وضيفة الحوار، فلا يوجد حوار بين القارئ والكاتب من خلال عمله الفني، ليست القراءة فعلاً حوارياً لأنّ الحوار هو تبادل للأسئلة والأجوبة" (Ricoeur, 1986, p. 139).

وفي هذا يحدد ريكور العلاقة الجديدة بين الكتابة والقراءة، حيث أنّ الكاتب غائب أثناء القراءة، والقارئ كذلك أثناء الكتابة، فلا يجيب الأول عن أسئلة الثاني، ذلك أن الكاتب أو المؤلف قد تخلّى عن ارتباطه بالنص من خلال الكتابة، فعالم النص يتعالى على شروط إنتاجه بواسطتها، وينفتح على عوالم ممكنة مرتبطة بالقارئ الذي يختلف في قراءته عن الكاتب وع قراء آخري، يقول ريكور " لم تعد علاقة الكتابة – القراءة حالة خاصة من حالات علاقة التكلم- الاستماع" (ريكور، 1988، ص. 60).

فالكتابة هي التي تجعل الكاتب يتساوى بالقارئ الذي يتلقى النص، غير أنّ الفرق بينهما هو أولوية القراءة تعطى للكاتب فهو أول من يقرأ النص وبهذا فهو من يمتلك استقلالية موضوعية المعنى. فالكتابة تعطى للنص استقلاليته، والنص يحقق استقلاليته بواسطة الكتابة، والكتابة هي التي تكشف لنا استقلال النص الفعلي عن القصد الذي أراده الكاتب أو المؤلف حتى أنّها استقلالية تجاه الشروط السوسولوجية والثقافية التي تتحكم في إنتاج النص، وهي الاستقلالية تجاه المتلقي، وهنا فالاستقلال الدلالي للنص والذي يعني لدى ريكور " ومفهوم الاستقلال الدلالي هذا ذو أهمية هائلة بالنسبة إلى التأويلية. فيه يبدأ تفسير الكتب المقدسة Exegesis ، أي أنّه ينشر إجراءاته في محيط مجموعة من المعاني التي قطعت ما يصلها بنفسية المؤلف" (ريكور، 1988، ص. ص. 61-62). إذ أصبحت الكتابة عملية تربط بين النص والمؤول وكأنها عملية تواصلية بين شخصين فالنص كما عبّر عنه غدامير: "يعبر عن شيء لكن هذا الفعل في النهاية هو إنجاز المؤول، كلاهما يشتركان في هذا الشيء" (غامير، 2002، ص. ص. 42-69).

وهذا ما تعبر عنه جدلية الكتابة / المؤلف، النص والقراءة / القارئ- الفهم، وريكور يعتقد أنّ مسألة الاستقلال الدلالي للنص: " ينشأ عن فصل القصد الذهني للمؤلف عن المعنى اللفظي للنص، وفصل ما كان يعنيه المؤلف عما يعنيه النص"(ريكور، 1988، ص.ص. 61-62).

3- - نظريات القراءة:

من كل تلك النظريات التي ظهرت في القراءة، حتى أنّ القراءات في حدّ ذاتها متعددة ومتباينة، قد قام ريكور بمحاولة وضع نظرية في القراءة، تأكد على القارئ، ترجع أو تقوم على " الجمالية لا على البلاغة "، وهذا ما يتضح عند ريكور من خلال القارئ الواحد في استجابته لعملية القراءة. بمثل ما قدّمه " فولفغانغ أيزر "، أو بمعنى استجابة قراء متعددين على صعيد التوقعات الجماعية كما لدى "هانز روبرت ياوس " من حيث أنهما يشتركان في نقطة واحدة وهي " الجمالية "، إذ أنّ فعل القراءة هو ما يربط بين ما مرّ من أعمال في تاريخ جمالية التلقي، من جهة أخرى نجد " الغاردن " الذي اعتبره " ريكور " أول من انتبه إلى تلك الفجوات والفراغات التي تجعل النص غير مكتمل وناقص، إذ يجب ملؤها من خلال القارئ حتى فصل إلى قصد موضوع النص.

من المتعارف جدا أنه لا توجد نظرية قرائية واحدة، إذ أنّ هناك نظريات وقراءات متعددة ومتنوعة ومختلفة، وهذه القراءات يمارسها ناقد أو فيلسوف أو مفكر ما، غير أنّ نظرية جمالية التلقي تبقى أهم ما وضع في هذا المجال كونها تجمع بين جمالية النص وجمالية تلقيه من حيث يعني التلقي كمصطلح الاستجابة بمثل ذهبته إليه المدرسة الأمريكية، وهذه النظرية التي نشأت مع نهاية الستينات من القرن العشرين بألمانيا على يد ياوس، وأيزر من جامعة كونستانس

تركز إهتمامها على المتلقي وعلاقته بالنص وكذا الكشف عن جماليته وكيفية تلقيه.

فالنص يدعو القارئ للمشاركة الفعلية في بناء النص ويخاطب المؤلف من خلاله المتلقي مباشرة حتى تتم عملية بناء النص بالشراكة بينهما، وفي خضم هذا لم يعد القارئ مجد متلقي سلبي إذ أصبح أساس عملية القراءة وحتى أهم مرحلة في بناء النص إذ يقوم بتلقي النص من مؤلفه ثمّ عن طريق القراءة يعيد بناءه هو أي بناء النص من خلاله فهمه له هو وبذلك نستطيع القول أنه قام بتأويل النص ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ وإنما يصل إلى فهم وعيه الذاتي: " إنّ القراءة التأويلية النقدية تجعلنا أكثر فهماً لوعينا الذاتي، إن أيزر يرى أنّ القارئ الحقيقي هو الذي يركز إلى القراءة التأويلية النقدية التي تستكشف الرموز بشكل جيد وواع، وبطريقة عميقة فالقراءات متعددة ومتنوعة ولكن القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع معنى النص. ولقراءة

وفهم النص يجب علينا أن نكون بالفعل على دراية بالرموز التي تستخدمها هذه القراءة" (غانم، 2022، ص. 23). وهنا ريكور يعتبر التأويل كفعل أساسي للقراءة وأيضا أحد أهم المفاهيم الأساسية في نظريات القراءة إلى جانب الرمز، فالقراءة عند ريكور هي على التحديد فعل تأويلي، أي أنها استخراج المعنى الخفي الموجود في النص وتجاوز المعنى الظاهري ومنه العمل على فهمه وفهم النص لدى ريكور وهو: "يعني أن تحاوره في حدود مستندات السياق، عن الدلالات التي تميز العالم Wellt عن البيئة Un

Welt. وهذا التوسيع لأفق وجودنا في العالم هو الذي يسمح لنا أن نتحدث عن الإحالات التي يفتحها النص، أو عن العالم الي تفتحه دعاوى الإحالة في أغلب النصوص" (ريكور، 1988، ص. 61).

وفي هذا فإنه لا يخفى أن ريكور قد تعرض لمفهومين متضادين لقراءة النص فأولهما "القراءة البنيوية" من خلالها يتم عزل النص عن محيطه الخارجي وتعليق توقعات القارئ بغية وصف البنية الدلالية للنص. أما القراءة الثانية فهي تأويلية يتم فيها فك تلك العزلة فيرتبط النص بمحيطه الخارجي، وبأفق القارئ ذلك أن ريكور يفرض انغلاقاً للنص، ومنه فالقراءة إنفتاح على النص، من خلال القارئ الذي يمتلك الأدوات والوسائل الخاصة به من أجل القراءة وتكون بذلك منهجاً ينطلق منه نحو القراءة ومن القراءة نحو التأويل من خلال فتح أفق التأويل ومرورا بفهم النص يصل إلى معرفة علاقة الذات المؤولة بالنص ومنه نحو فهم الذات المؤولة عبر تلك الوسائط: العلامات والمروز، وللإشارة فآيزر قد حاول وضع مقارنة بين بنية النص وبنية الفهم عند القارئ. ذلك أن القراءة نشاطاً جدي بينهما من القارئ إلى النص، ومن النص إلى القارئ. وفي إطار هذا التفاعل بين النص والقارئ بحث آيزر عن أدوات ومفاهيم إجرائية تجمع ما بين المعنى الباطني للنص، والفهم الذي يقوم به القارئ.

وهنا لجأ إلى مفهوم القارئ الضمني حيث أنه: "إن القارئ الضمني بنية نصية خالصة تجعل الملتقي، ومن ثم فعل التلقي ذاته، مجانباً للنص بحيث يستطيع النص أن يفرض شروط تلقيه وبناء معناه" (Iser, 1985, p/ 70).

إضافة إلى الآليات الإجرائية والتي توضح العلاقة بين النص والقارئ: القارئ الضمني كما تمت الإشارة له، النموذج الوظيفي التاريخي لإشتغال النص ويتضمن (السجل النصي، الاستراتيجيات النصية)، والتصور فينومينولوجي المتمثل في (وجهة النظر الجواله) أي فينومينولوجيا القراءة، مواقع التحديد، مستويات المعنى. أمّا عن "ياوس" فقد قدم أهم الأطروحات النقدية التي أسست عليها نظرية القراءة والتلقي وهي " تاريخ الأدب "أي أنه أقرّ بأهمية العودة إلى تاريخ الأدب. من حيث أن هدف ياوس من جمالية التلقي هو محاولة لتحديد تاريخ الأدب لقول ريكور: " لم يكن الهدف من جمالية التلقي عند ياوس في صياغتها الأولى أن تكمل نظرية ظاهرية عن فعل القراءة، بل كانت تريد تجديد تاريخ الأدب" (ريكور، 2006، ص. 236) هذا من جهة ومن جهة أخرى أراد العمل أراد العمل الأدبي أن يصل إلى التمكن من تأسيس " العلاقة الحوارية الراسخة " بين العمل وجمهوره في كل مرحلة تاريخية أو عصر (ريكور، نفس المرجع). يعني بين النص والقارئ، من حيث أن تقوم المساواة بين المعنى الفعلي والتلقي لإعطاء أهمية كبرى للقارئ ولتاريخ القراءة بعد فترة طويلة من التهميش. وهذا ما دفع بياوس إلى اللجوء إلى مفهوم أفق التوقع، وهنا يعتقد ريكور أن: "بين أفق التوقع التابع من الماضي وأفق التوقع الذي ينتمي للحاضر، فيمكن الهم الموضوعاتي (...). لتاريخ الأدب في هذه الوساطة التاريخية" (ريكور، المصدر نفسه، ص. 258). حيث تطرق ريكور إلى التماهي مع المسافات الجمالية بحيث يفرق ياوس بين نوعين من المسافات الجمالية: الجمالية الأصلية الأولى والتي تتميز موقف المتلقين الأوائل، والمسافة الجمالية الراهنة التي تفصل أفق التوقع للجمهور عن عمل من نصوص الماضي.

4- مكانة القراءة في مشروع ريكور التأويلي:

يرتقي ريكور بالقراءة بفكر فلسفي يليق بمكانته هو ذاته ريكور، فالقراءة لا تقتصر عنده في تلقي النص وفرزه عن نصوص أخرى، كما أنه لا يعتبر انفتاحاً على ذات الكاتب حباً في الإستكشاف وفقط- أو فهم لكنونة تحتويه النصوص، إنما ريكور ذهب به إلى تطوير الذات وتوسيعها نحو أفاق جديدة، رغم أنه لا ينبغي الاستهانة بما تفتحه مهمة تلقي النصوص من معارف كانت مغلقة أو مكتومة قبل القراءة إلا أن الذات التي تتلقى هاته المعارف، لا تتلقاها

إلا في حالة إستكشاف لها، فالذات من خلال القراءة بجذ ذاتها، وتتعرف إليها وتعبر عنها من خلال الطريقة التي يقرأ بها القارئ النص، فقد يجد القارئ ذاته في النص لحظة القراءة، أو قد تحاكي النص ذاتا يألفها أو ينفر منها أو حتى ماهية متغيرة أو أحوالا تتبدل، قد ترتبط بالخيال أو المجال قد تحاكي النصوص أبطالاً يعبرون عن ذواتنا أو ذات بريئة نتعاطف معها على حسب الشخصيات والبطولات والأدوار أو العكس، فالنص ينقل مجموعة من القيم والأفكار والمشاعر والعواطف عبر القراءة إلى القارئ يقول بول ريكور: "وبتجربتنا مختلف الأدوار التي تتبناها الشخصيات في القصص العريضة علينا وبواسطة هذه التحولات الخيالية لذاتنا نحاول أن نحصل على فهم ذاتي لأنفسنا" (ريكور، 1999، ص. 55).

وفي نفس السياق فإذا كان النص مرتبطاً بالخيال فإنه يعطي للقارئ من خلال قراءته ليس فقط لتقمص الدور بل أن النص يصبح عالماً خاصاً يعيش فيه القارئ وفقاً لمخيلته إنطلاقاً من قراءته بطريقة تختلف عن طريقة عيشه هو ذاته ومنه فإن ذاته تفتح على عوالم جديدة لا تعبر عن تجربته التي يعيشها في الواقع وطبعاً بطريقة مختلفة وهذا الانفتاح والتوسع في التجارب والحياة التي صمّم لها ذات آخر، أو ذاتا خارجة عنا من أجل فهم ذاتنا وفي هذا يعبر ريكور: "إننا خلافاً لتقليد الكوجيتو وزعم الذات معرفة نفسها بالحدس المباشر، لا نفهم أنفسنا إلا بخفايا علامات البشرية المبتوثة في الآثار الثقافية، ماذا كنا سنعرف عن الحب والكراهية عن الأحاسيس الأخلاقية، وبعمامة عن كل ما نسميه ذا، لو لم يُنقل ذلك إلى كلام ولم يُبين بالأدب؟ وما يظهر هكذا أكثر تناقضاً مع الذاتية ... هو الوسيط الوحيد الذي فيه يمكن لنا أن نفهم أنفسنا" (ريكور، من 2001، ص. 89)، ريكور هنا ينتقد الكوجيتو في إدعائه معرفة الذات عن طريق الحدس، فالنصوص التي تنتج ابداعات هي التي توصلنا إلى فهم ذواتنا من خلال وساطة القراءة. إن تحقق الذات وفهمنا لها عن طريق القراءة يمر أيضاً بالوجود فالذات التي تقرأ أو القارئ هو تلك الذات التي بحثت وجودها من خلال فعل القراءة، الذي يدعو إلى التفكير في تلك النصوص والعلامات والرموز التي تدعو إلى الفهم، فتكون بذلك أيضاً ذاتاً تفهم ومن ثمة ذات التأويل. وهذا ما يريده ريكور من خلال القراءة: يقول ريكور: "إن التأويل ليس أن تفهم النص أفضل مما أراد له صاحبه، أو يكون الفهم الذاتي أعمق وأنقذ من فهم المؤلف لنصه. وإنما متابعة هذا النشاط الداخلي والخارجي للنص عبر علاماته المنتظمة في عالمه وقدرته على تشكيل فضاء تجد فيه الذات أو القارئ أشكال تنقيبه عن المعنى. وإما سبره للدلالة أو العلامة، بهذا المعنى يتيح فهم النص إعادة تفسيره وتنظيم فضاءه الدلالي (الزين، 2002، ص. 72)".

وبما أن فهم الرموز والعلامات والنصوص وتأويلها. من أهم الموضوعات التي اهتمت بها الفلسفة التأويلية لدى ريكور، وفي محاولتها إبراز التطابق بين النص والفعل، أصبح الفعل من أهم موضوعات هذه التأويلية،

والتي يمكن أن نُميّز فيها ثلاث مراحل أو أوجه أو لنقل أصناف: تأويلية الرموز والعلامات، تأويلية النص، وتأويلية الفعل، وهذا الانتقال واضح جدا فيما قدّمه ريكور (ومن الرمز إلى النص ومن النص إلى الفعل)، ولما أن الفهم والبحث عن المعنى حاضرا في تأويليته على اختلاف توجهاتها فإننا نجد أنّ القراءة قاسم مشترك بينها بل وأنّ تسبق الفهم والمعنى والتفسير وصولاً إلى الفعل، ذلك أن التأويلية تقوم على الانفتاح على عالم النص وهذا ما يتحقق عن طريق القراءة يقول ريكور: "إنّ النص باعتباره كتابة، ينتظر ويستدعي قراءة مان وإذا كانت القراءة محملة فذلك لأنّ النص غير منغلق على نفسه، بل منفتح على شيء آخر، والقراءة تعني، في كل فرضية ربط خطاب جديد بخطاب النص، هذا الربط لخطاب بخطاب، يثي في صياغة النص ذاتها،.. والتأويل هو النتيجة"" (ريكور، من 2001، ص. 89)، ذلك أنّ مهمّة القراءة هي ذاتها عملية انتاج المعنى وتجديد النص من خلال القارئ الذي يضفي على النص عبر القراءة تجاربه وذاته، وعليه فالعلاقة بين القراءة والتأويل علاقة جدلية عندما أصبحت القراءة عملية تأويلية يقوم بها القارئ ولذا نجد نظريات القراءة "والأخرى" نظريات التأويل "ثمّ" نظريات القراءة والتأويل".

خاتمة:

في ختام هذا المقال تمّ الخروج بمجموعة من النتائج التي يمكن اختصارها فيما يلي:

- يبدو أنّ الاختلاف حول مسعى ريكور من وراء مشروعه التأويلي بعد دراسته والتطرق لفكره بات مستحيلا، إذ نرى فعلاً أنّ ريكور في سياق الفلسفة التأويلية ذهب إلى دراسة النصوص لاسيما النصوص الفلسفية بغية بحث مسألة المعنى وكيفية بناءه داخل النص وفي سياقاته المتعددة ومنه فإنّه وضع منهجاً واضحاً ومعقداً ودقيقاً من أجل الوصول إلى المعنى في شتى الميادين.

من خلال عالم النص أوضح لنا ريكور كيفية القراءة وآلياتها ووضع لها دعائم فلسفية تأويلية نحو غايته حتى يتيح لنا السير في سياق تأويلي من أجل الوصول إلى التأويل وهنا يتضح جمال المنهج فبالتأويل ضل إلى التأويل.

- فعلاً ريكور صمّم مشروعه الفلسفي وقد وصل من خلاله إلى وضع مقارنة تأويلية جديدة استفاد فيها من اسهامات المرحلة الفلسفية والفكرية السابقة له، ليكون بذلك أحد مصادر الفكر الفلسفي التأويل الهيرمينوطيقي لما بعده من فلاسفة ومفكرين من خلال بحثه وتجربته النقدية ودراسته لقضايا التاريخ والسرد والأساطير والعلامات والأنثروبولوجيا الفلسفية، وتأويل النصوص الدينية، والخطاب والإستعارة والقراءة ليقدم أثراً لا يستهان به في خضم النظريات الهامة كنظريات القراءة والتيار البنيوي.

وفي القراءة يعطي لنا ريكور نموذجاً فكرياً من خلالها تكشف الذات الإنسانية من تعاملها مع النص الذي شكّل علاقة مع العالم أو تفاعل معه وما أدى إلى تفاعل الذات مع القراءة بحثاً عن المعنى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، سورة القيامة.

ابن فارس، (1991)، مقاييس اللغة، تج. عبد السلام هارون، جار الجيل، بيروت، ط1.

ابن منظور. (s.d.). لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث.

الزين، م. (2002)، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ريكور، ب. (2006)، الزمان والسرد، الحبكة والسرد التاريخي، تر. زيناتي، ج.، ج.3، لبنان، دار الكتب الجديدة.

ريكور، ب. (2003)، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، تر. الغانمي، بيروت، الدار البيضاء: المركز العربي.

ريكور، ب. (2001)، من النص إلى الفعل، تر. برادة م. و بورقية ح.، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث

الانسانية

والاجتماعية.

ريكور، ب. (1999)، بحثاً عن السرد، الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، تر. الغانمي، س.، بيروت:

المركز الثقافي العربي.

ريكور، ب. (1988). النص والتأويل، تر. عبد الحق، م. مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، . بيروت: مركز

الإنماء القومي.

زفيتان، ت. (1989)، القراءة كبناء، تر. محمد أديوان، مجلة الفكر العربي، مركز الإنماء القومي.

سارتر، ب.، س. (1990)، ما الأدب، تر. هلال، م. غ.، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

غامير، ه. (2002) اللغة كوسيط للخبرة الهمنوطيقية، تر. تامر من مجلة فن وفكر، ع.75، محور العدد:

الفيلسوف الألماني غادامير وفلسفة التأويل، : 2002/1/1، كولونيا، ألمانيا.

غانم، أ. (2022) جدل التأويلية الكتابة، النص - الفهم/ القراءة، الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

فوكو، م. (1990)، /الكلمات والأشياء، تر. فريق الترجمة، بيروت: مركز الإنماء القومي.

قطوس، ب. (2006)، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

Iser, W. (1985). *L'acte de lecture, théorie de l'effet esthétique*. Trad. Par Sznccer E., Édition Pierre Mardaga.

Ricoeur, P. (1986). *Du texte à l'action, essai d'herméneutique*. Paris: Edition Le Seuil.

Ricoeur, P. (2004). *Sur la traduction*. Paris: Edition Baynard.T